سلسلة تفريغات

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

الدورة التأصيلية في علم العقيدة

المستوى الثاني

كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رابط قناة الدورة في التليجرام

رابط الموقع الرسمي

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني

Drabosalahm1@gmail.com

http://www.drabosalahm.com

@DrAboSalahM

الرجال +965 50110130
النساء +965 97537184

شرح كتاب التوحيد- المجلس السَّابع

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

هذا هو المجلس السَّابع من مجالس تعليقنا على كتاب [**التوحيد**] ضِمْن الدورة التأصيلية الأُولى في علم العقيدة، ونحن في مساء السبت الثاني من شهر جُمادَى الأُولى عام ١٤٤٤ من هجرة المصطفى ﷺ.

كنَّا قد وقفنا على (**بَابُ الشَّفَاعَةِ**)؛ فنبدأ على بركة الله، ونسأله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

المتن

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَن والاه اللهمَّ انفعنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما ينفعنا، وارزقنا علمًا نافعًا.

اللهمَّ اغفر لنا ولوالِدِينا ولمشايخنا والمسلمين.

اللهمَّ رحمتك نرجو فلا تكِلْنا إلى أنفُسنا طرفة عين:

بَابُ اَلشَّفَاعَةِ

وقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ [الأنعام: ٥١]

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

وقوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]

وقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا لله. ولم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ: "أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده" (لا يبدأ بالشفاعة أولا) ثم يقال له: "ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع".

وقال له أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه" فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص، بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل

الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع.

وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص اهـ كلامه.

الشرح

هذا الباب عقَدَه المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو تبعٌ للباب الذي قبله بَابُ قَوْلِ ٱللَّهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ: ٢٣]

ومراده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إيراده لـ (**بَابِ الشَّفَاعَةِ**)؛ في كتاب [**التوحيد**]: بيان أنَّه لا أحد يملك مع الله عَزَّوَجَلَّ شيئًا حتى الشفاعة.

ومعلوم أنَّ الشفاعة أمرٌ مضطردٌ معلومٌ معمولٌ به عند العقلاء وبينهم؛ وذلك لوجود اشتراكٍ بين الشافع، وبين المشفوع عنده، وبين المشفوع له.

والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لعظمته وكِبريائه وأحديَّته وصمديَّته لا أحد يشفع عنده كما يريد؛ وإنَّما يشفع بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وفيمن يريده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فإذا كان الأمر في الشفاعة راجعًا إلى إذنه، وراجعًا إلى رِضاه؛ تبيَّن للعاقل أنَّه لا يجوز له وليس له أن يتوجَّه إلى غير الله عَزَّوَجَلَّ، مَن يكون قلبه مُعلَّقًا بمَن

يملِك الشفاعة فيأذن فيها ولبعض الشُّفعاء، وفيمَن يرضَى؛ فهو الذي يملِك الشافع والمشفوع فيه، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء، وما سِواه فإنَّه عاجزٌ إن لم يُقوِّه الله عَزَّوَجَلَّ، لا حول له إن لم يُحوِّله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

إذا كان الأمر كذلك فلا بد لطالب العلم أن يفهم موضع الشفاعة في «باب الاعتقاد»؛ ما هي مكانة الشفاعة في «باب الاعتقاد»؟

أولًا: لا بد من اعتقاد أنَّ الشفاعة الشِّركية منتفية.

وهنا يَرِدْ سؤال: ما هي الشفاعة الشِّركيَّة؟ أورَدَ الإمام المُجدِّد كلام شيخ الإسلام أبي العبَّاس بن تيمية العَلَمَ الإمام الهُمام في بيان معنى الشفاعة الشِّركيَّة.

وأورَدَ المصنِّف تحت هذا الباب خمس آياتٍ وحديثًا واحدًا، وفي هذه الآيات بيان:

- نَفْي الشفاعة الشِّركيَّة.
- وإثبات الشفاعة الشَّرعيَّة.

مثل ما نقول:

- هذه عبادة شِركيَّة.
- وهذه عبادة بِدعيَّة.

- وهذه عبادة صحيحة.

كذلك نقول في «باب الشفاعة»؛ نقول:

- هذه شفاعة شِركيَّة.
- وهذه شفاعة شرعيَّة.

إذًا... القِسمة صحيحة مضطردة في جميع الأبواب، فقوله في «آية الأنعام»: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ نَفْي للشفاعة ﴿لَيۡسَ لَهُم﴾؛ والضمير في كلمة ﴿لَهُم﴾؛ راجعة إلى المشركِين ﴿لَيۡسَ لَهُم﴾ راجعة إلى المشركِين.

ومن أهل التفسير مَن يقول: ﴿لَهُم﴾؛ عامٌّ، راجعٌ إلى المُحشَر، ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾

إذًا... يحتمل في الآية:

أنَّ الضمير ﴿لَهُم﴾؛ راجع إلى المشركِين، كما هو قول عامة المُفسِّرين.

ويحتمل أن يكون المعنى: ﴿لَيۡسَ لَهُم﴾؛ أي: المُحشَرِين ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾

وفي «آية البقرة»: ﴿يَوۡمٌ لَّا بَيۡعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]؛ فنَفْي الشفاعة هنا بـ ﴿لَا﴾؛ النافية للجنس تفيد العموم من وجه لأنَّ «**لا إله**»؛ نَفيٌ

للجنس، وهو من ألفاظ العموم «**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**» ﴿يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۚ﴾

لكن هنا ﴿لَا﴾ ليست ناهية، بل هي نافية؛ ولذلك لم تعمل، نافية لم تعمل ﴿لَا شَفَٰعَةٞۚ﴾

وفي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾؛ «آية الزُّمر» إشارة واضحة إلى أنَّه سبحانه هو الذي يملِك الشفاعة.

وفي «آية البقرة» ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾؛ اللي هي «آية الكُرسي»؛ إثبات الشفاعة لكن بعد إذن الله عَزَّوَجَلَّ.

لاحظوا:

في «آية الأنعام»: نفيٌ للشفاعة ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾.

في «آية الزُّمر»: إثبات أنَّ الشفاعة مُلْكه ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾.

في «آية البقرة»: إثبات أنَّ الشفاعة تكون بعد الإذن عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

وفي «آية النجم»: إثبات أنَّ هذه الشفاعة تكون بعد الرضا، بعد مشيئة الربِّ، ورِضاه عن الشافع والمشفوع.

وفي الآية الخامسة والأخيرة التي في «سورة سبأ» ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، ثم قال في الآية اللي بعدها: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾.

إذًا هذه الآيات فيها بيان ما يأتي:

- **ذكرنا أولًا**: أيش قلنا؟ يجب اعتقاد نَفْي الشفاعة الشِّركيَّة.
- **ثانيًا**: يجب اعتقاد إثبات الشفاعة لأهل التوحيد.

✸ **فالأول**: يجب اعتقاد نَفْي الشفاعة الشِّركيَّة ردٌّ على المُشركِين الذي زَعَموا أنَّ الشفاعة بابها مفتوحٌ لكل أحد، وأنَّ الشافع يشفَع كيف شاء، متى شاء عند الله، ولمَن شاء.

هذا المعنى من الشفاعة مُنتفية بدلالة «آية البقرة» الرابعة والخمسين بعد المائتَيْن: ﴿يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ﴾.

و «آية الأنعام»: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾.

و «آية الزُّمر»: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾.

وغير ذلك من الآيات.

✸ **ثانيًا**: يجب اعتقاد أنَّ الشفاعة ثابتة لأهل التوحيد ردٌّ على مَن؟ ردٌّ على غُلاة الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الشفاعة لأهل التوحيد.

وفي إثبات الشفاعة بالإذن ردٌّ على الخوارج.

والعكس هُم المرجئة؛ فإنَّ المرجئة يقولون: إنَّ أهل الإسلام لا يحتاجُون إلى الإذن بالشفاعة فيدخلون الجنة ابتداءً. وهذا باطل، وقول الخوارج باطل.

✸ **ثالثًا**: لا بد من اعتقاد أنَّ الشفاعة للموحِّدِين لا تكون إلَّا بعد الإذن والرضا.

وهنا سؤال: لماذا كان لا بد من الإذن والرضا في الشفاعة؟

الجواب: أنَّ الشفاعة من باب الدعاء، والدعاء:

قد يُؤذَن للداعي فيدعُو، وقد لا يُؤذَن له.

ثم إذا دعا قد يُرضَى قوله، وقد لا يُرضَى قوله.

إذًا... الشفاعة من أي الأبواب؟ الشفاعة من باب الدعاء. لا ننسَى هذا! لا فَرْق.

حينما يأتيك إنسان ويقول: ادعُ الله عَزَّوَجَلَّ لي!

أنت يمكن تدعُو له؛ لكن هل أنت تقدر تجزم أنَّ الله قَبِلَ دعاءَك؟ ما تقدر؛ لأنَّ هذا مرتبط بأيش؟ مرتبط بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وإذنه الآن بعد انقطاع الوحي غير، ما يمكن العلم به.

وأيضًا حينما تدعُو لفلان لا بد حتى تكون هذه الشفاعة مقبولة لا بد من رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن المشفوع له والمرضِيِّ له.

فإن كان مُشركًا: فلا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ الشفاعة فيه.

إذًا هذه قضية مهمة؛ الشفاعة للموحِّدين ثابتة لكن بعد الإذن والرضا.

والإذن المراد به في آية البقرة «آية الكُرسي»، وفي آية النجم»، وغيرها من الآيات التي فيها ذِكْر الإذن والمشيئة؛ **ما المراد بالإذن؟**

المراد بالإذن: الإذن العام الذي يكون يوم القيامة للشُّفعاء، ويتضمَّن هذا الإذن العام الإذن الخاص، وهو قُم يا فلان اشفَعْ... ولا تقُمْ يا فلان للشفاعة.

إذًا... الإذن «إلَّا من بعد إذنه»؛ أي: إذنه العام بالكلام للشُّفعاء، كما قال عَزَّوَجَلَّ في «سورة النبأ» قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨]؛

لاحظ! هذا يتكلَّم عن أي أنواع الإذن؟

طالب: الإذن الخاص.

العام.

طالب: العام.

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾؛ فإذا أَذِنَ الرحمن بالإذن العام يبقَى الإذن الخاص، فيُقال: «**قُمْ ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّد، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تَشَفَّعْ**»؛ فهذا الحديث من أي أنواع الشفاعات؟

طالب: الخاص.

الخاص.

«**وَالْقُرْآنُ وَالصِّيَامُ يَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا**»؛ عام ولَّا خاص؟

طالب: ..... (١٨:٢٠).

خاص.

«**وَالشُّهَدَاءُ يَشْفَعُونَ**»؛ خاص.

إذًا... الإذن يتضمَّن:

الإذن العام: لأنَّ هناك وقت يوم القيامة لا يُؤذَن لأحد بالكلام؛ كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨]

صمتٌ رهيب، موقفٌ مهِيبٌ، تدنو الشمس من الخلائق كالميل لا ترى إلَّا رؤوسًا قد خَلِيَتْ من اللبس، وأجسادًا عَرِيَتْ من الثياب، وأقدامًا خليَّة من النِّعال «**حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**».

إذًا... **ثالثًا**: لا بد من اعتقاد أنَّ شفاعة الموحِّدين لا تكون إلَّا بعد الإذن، فهِمنا معنى الإذن.

والرضا: ما معنى الرضا؟ في كلمة «الرضا» تتذكَّر ثلاثة أمور: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾؛ إذًا لا بد أنَّ الله يرضَى، يرضَى ماذا؟

اكتب: يتضمَّن رضاه:

أ. **عن الشافع**: بأن يكون أهلًا للشفاعة؛ فليس كل أحدٍ يمكنه أن يشفع، لا بد أن يكون مرضيًّا عند الله عَزَّوَجَلَّ.

ولهذا إذا قِيل لك: مَن الشُّفعاء يوم القيامة؟ ستقول مباشرةً: الرُّسُل والأنبياء، والصدِّيقُون، والشُّهداء. هؤلاء هُم المرضِي عنهم؛ ولذلك أنت حصرْتَ الشهادة فيهم وفي أوصافهم.

إذًا... الرضا يتضمَّن:

أ_ **رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن الشافع.**

ب_ **رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن المشفوع**: فإنَّ المشفوع إذا لم يكن مرضِيًّا عند الله فإنَّ الله لا يقبَل شفاعة الشافع، حتى لو أَذِنَ له بالكلام.

مثال على هذا: ما جاء في الحديث الصحيح: أنَّ نبي الله وخليل الله إبراهيم يقول يوم القيامة: «**أي ربِّ، أليسَ قد وعدتني أن لا تُخزِنِي يوم يُبعثُون؟**

فيقول: بلى. فيقول: هذا أبي الأبعد في النار، وأيُّ خِزيٍ أعظم من هذا؟»؛ الآن سؤال: إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام شَفَعَ ولَّا ما شَفَع؟ شَفَع. إذًا كان مأذونًا له بالكلام.

وهو مَرْضِي ولَّا ما هو مَرْضِي؟ مرضِي.

لكن تأمَّلوا نهاية الشفاعة ماذا كانت؟ قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فَيَنْسَخُ اللهُ أَبَاهُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **فَيَقُولُ: بُعْدًا... بُعْدًا**»؛ يتحوَّل إلى أنثَى الضَّبْع شكله وصورته.

إذًا... لاحظوا الآن! ما المانع من قَبُول الشفاعة؟ عدم رضا الربِّ عن المشفوع له. جميل.

مثال آخر -لأنَّ الأمثلة تُبيِّن المسائل-: لمَّا جاء العباس عمُّ النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ حاملًا همَّ أخيه، قال العباس: أي نبيَّ الله، هذا عمُّك أبو طالب كان وكان وكان وكان. فصار يُعدِّد محاسنه ودفاعه عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وعن الإسلام والمسلمين، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أَمَا إِنِّي قَدْ شَفَعْتُ لَهُ، وَقَدْ كَانَ فِي أَسْفَلِ النَّارِ حَتَّى صَارَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**».

الآن لو نلاحظ أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ معناه أنَّه شَفَعَ وطلب من الله عَزَّوَجَلَّ، وممَّا يؤكِّد هذه الشفاعة وهذا الدعاء وهذا الطلب أيش؟ «آية التوبة»؛ أنَّ النبي قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»؛ فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

إذًا هو حصَلَ منه الشفاعة ولَّا ما حصل؟

حصَلَ منه الدعاء ولَّا ما حصل؟

حصل؛ لكن لمَّا كان الجهة التي صدَرَتْ الشفاعة لها غير مرضِيٍّ عند الله أنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقَبِلَ بعض شفاعته وردَّ الأصل، قَبُول البعض، تخفيف النار:

ردّ الأصل: النجاة من النار. صح؟ هذه قضية أيضًا مهمة!

إذًا... ماذا نقول؟ نقول: الرضا متضمِّنٌ لرضا الله عَزَّوَجَلَّ عن المشفوع له، أو المشفوع فيه. رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن الشافع، ورضا الله عَزَّوَجَلَّ عن المشفوع:

رضا الله عن الشافع يعني: كونه أهلًا للشفاعة؛ فقد قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأبي بكر: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَومَ الْقِيَامَةِ**».

ومن باب الفائدة: كل كلمة «شُهداء» ورَدَتْ في خصوص يوم القيامة فهي متضمِّنة لمعنى الشفاعة؛ فإنَّ الشهداء يوم القيامة هُم الشفعاء؛ لكن هذا في حقِّ المسلمين.

إذًا... الرضا متضمِّنٌ:

- رضا الله عن الشافع.
- رضا الله عن المشفوع له، والمشفوع فيه.
- رضا الله عَزَّوَجَلَّ عن موضوع الشفاعة، وهو الذي يسمِّيه العلماء «رضاه عن:
  - عين الشفاعة.
  - وعن نفس الشفاعة.

ما الذي سيقوله المتكلِّم؟ إذا كان تكلَّم بموضوعٍ مقبولٍ مرضِّي عند الله: فإنَّ الله يقبل شفاعته.

مثال ذلك: طلب الشفاعة لأهل الإسلام من حيث العموم؛ فلا يُقبَل منه لأنَّ طلب الشفاعة لعموم أهل الإسلام ليس لكلِّ أحد. واضح؟

موضوع الشفاعة غلط، المقام المحمود خاصٌّ للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هو الذي يشفَع لأهل الإسلام كلِّهم الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم، بل ولأهل الموقف.

إذًا... الرضا يتضمَّن:

- رضا الله عن الشافع.
- رضا الله عن المشفوع فيه أو له.
- ورضا الله تعالى عن موضوع الشفاعة.

هذه قضية مهمة!

يعني مثلًا: ربَّما يأتي إنسان يوم القيامة ويقول -وهو من أهل الشفاعة-: يا ربِّ، إنِّي أشفع إلى فلان أن يكون في درجة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. لن يقبل الله منه ذلك؛ لأنَّ الموضوع ليس موضوعًا مقبولًا داخلًا في الشفاعة؛ هذا مقامٌ خاصٌّ بالنبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

طيب... إذا كانت الشفاعة الثابتة للموحِّدين بعد الإذن والرضا؛ فصورة الشفاعة الشِّركيَّة هي التي ذكَرَها أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ ما هي؟

يقول أبو العباس: (**نَفَى ٱللَّهُ عَمَّا سِوَاهُ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ٱلْمُشْرِكُونَ**)؛ أيش اللي كانت يتعلَّق به المُشركون؟ يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾؛

يعني: إحنا نعبُدهم، ونسجُد لهم، ونتوكَّل عليهم، ونرجوهم، ونخافُهم؛ وهُم يشفعون لنا عند الله، هذا معنى تعلُّق المشركِين بشُفعائهم؛ فنَفَى أن يكون لغيره مُلكٌ أو قِسطٌ منه، أو يكون عونًا لله.

وذكَرْنا -لو تَذكرُون- في آخر الدرس الماضي قصة شراء سيارة، تذكرونها؟ نسيتُم، علشان لا تنسُون المواضِيع الأمثلة تُبيِّن، أنت الآن رحت تبي تشتري سيارة من معرض سيارات -ما نبي نذكُر اسم المعرض عشان لا يصير دِعاية لهم- طيب رحت هناك ولقيت الأسعار -مثل ما يقولون- نار، مرتفعة، تبي تشفع، تبي أحد يشفع لك عند صاحب المعرض عشان ينزِّل من قِيمة المعروض؛ بالله عليكم أحد راح يشفع، يروح عند الشارع يشوف أي شخص يقول له: اشفع لي! ممكن؟! لا يمكن، لا يمكن لعاقل يحترم عقله أن يفعل هذا الفِعل.

إذًا... يطلب الشفاعة ممَّن عند صاحب المعرض، لا يتخيَّل في ذِهنه إلَّا هذه الأمور الأربعة. انتبه!

أولًا: يسأل هذا المعرض لمَن؟ يقولون: لفلان، بس فلان أنا ما أقدر عليه. مَن هو شريكه؟

إذًا... النُّقطة الأُولَى: يبحث عن شريك المعرض.

قالوا له: شريكه فلان. قال: والله ما أعرفه. ما استفاد شيء.

ينتقِل إلى النُّقطة التي بعدها، ما هي النُّقطة التي بعدها؟ هذه أيضًا مهمة!

النُّقطة التي بعدها، يعني: هو ما استطاع الآن أن يطلُب من صاحب المعرض لأنَّه ما يعرفه، وليس لصاحب المعرض شريك، أو له شريك لكن ما يُنتفَع به، قالوا: صاحب المعرض ما يقبل واسطة. قال: منو شريكك؟ قال: ما له شريك. إذًا لاحظ طريقان سُدَّا عليه الباب، صاحب المُلك ما يعرفه، ليس له شريك؛ فينتقل للنُّقطة الثالثة، ما هي النُّقطة الثالثة؟

يقول: ما في إلَّا إنِّي أشوف واسطة عند المدير الإداري (مدير التنفيذ) للشركة للمعرض.

طيب... إذا كان المعرض ليس له مدير إدارة تنفيذ، صاحب الشركة هو يدير المعرض؛ ما استفاد شيء. صح ولَّا لا؟

رجع الأمر إلى مَن؟ إلى صاحب المُلك اللي ما له شريك، وهو اللي في نفس الوقت اللي يدير كل شيء.

الآن لاحظ الآن! هو ما عرَف صاحب المُلْك، ولم يعرف له شريك، ولم يعرف له مديرًا يعينه وظهيرًا يُعاونه، بل هو الذي يفعل كل شيء.

النُّقطة الرابعة الآن: سينتقل تلقائيًّا إلى أحدٍ يعرف صاحب المعرض بس، ما في طريقة ثانية.

هذه هي الأمور الأربعة التي ذَكَرَها الله في آيتَيْن من «سورة سبأ»، وسمَّاهما ابن القيِّم بـ «الآيتَيْن القالعة لجذور الشِّرك»؛ لماذا يقع الشِّرك في العالَم؟ لأحد هذه المعاني الأربعة:

إمَّا اعتقاد أنَّ المُلك لغير الله: فيطلُب منه، والمُلك لله وحده.

أو اعتقاد شريكٍ مع الله: والله ليس معه شريك.

أو اعتقاد ظهير معاون لله: والله ليس له ظهِير ولا مُعاون.

فما بَقِيَ إبليس يُدلِّس على الناس إلَّا بجهة الشفاعة يقول: صح هو المَلِكُ وحده، هو لا شريك له، هو المتصرِّف وحده لا ظهير له، لا مُعِين له؛ أطلب له الشُّفعاء. فقال الله مباشرة بعدها -لاحظ-: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾؛ هذا أي نُقطة؟

طالب: الأُولَى.

الأُولى، اللي هي....

طالب: المُلْك.

المُلْك، ﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾؛ إذًا... المُلْك كلُّه لمَن؟ لله.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾؛ هذه النُّقطة أيش؟

الثانية: انتفاء الشرِيك.

﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾؛ انتفاء المُعِين والظهير (المدير التنفيذي).

صح ولَّا لا؟

بَقِيَ النُّقطة الرابعة جاء في الآية اللي بعدها: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾؛ الشفاعات في الدنيا يمكن تكون بدون إذن؛ أيشلون؟

أنت عرفتَ صاحب المعرض، اتَّصلتَ عليه، قال الرجل اللي اتَّصلتَ عليه يشوف لك واسطة عند صاحب المعرض، قال: أنا ما أعرفه؛ بس أنا أعرف أبوه، وأبوه غصبٍ عليه يخلِّيه ينزِّل. هذه متصوَّرة ولَّا غير متصوَّرة في شفاعة المخلُوقِين؟

مُتصوَّرة، يعني: يقدر الأب يُلزِم الابن، الابن ما يقدر يقول شيء.

أو يقول لك الرجُل: أنا ما أعرفه؛ بس أعرف ولده، ولده يمون عليه، أخوه يمون عليه. ففي ناس يمُونون عليه، على صاحب المال فيشفعون عنده مو على كيفه.

لا يمكن تتَّصل على أحد يقول لك: صاحب المال ما ينزِّل لك. قلتَ له: لا والله، ما ينزِّل لي.

قال: لا، أنا بدقّ على مدير البلديَّة خلِّيه غصبٍ عليه ينزِّل لك. لأنَّ هو يخاف من مدير البلديَّة، عنده عروضات، أو مدير التجارة، يخاف من مدير التجارة. هذه هي حال الدنيا؛ أنَّ شفاعاتهم ماشية لأي شيء؟

- إمَّا لقوةٍ قاهرةٍ فوقهم.
- أو لأمرٍ قاهرٍ فوقهم.
- أو لإدلاءٍ وحُبٍّ تحتهم.
- أو لنظيرٍ ومُساوٍ عندهم.

هذا منتفِي في حقِّ الله؛ فالله ليس له ولدٌ ولا والد، والأولياء والأنبياء والرُّسُل إنَّما اتَّخذهم الله أولياء أيش؟﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾؛ الباب اللي قبله سبق هذا. صح ولَّا لا؟ الله ليس له وليٌّ من الذُّل﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ١١١﴾؛ الله أكبر!

إذا كان الأمر كذلك فالشفاعات الشِّركية منتفية، شفاعات شِركيَّة يعني: ما يقوله بعض أهل الكُفران والشِّرْك والطُّغيان: أنَّ الوليَّ يشفَع كيف شاء، يُدخِل الجنة كيف شاء، يُخرِج من النار مَن شاء. عياذًا بالله!

قال أبو العباس: (وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اَلشَّفَاعَةُ فَبَيَّنَ أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾؛ فَهَذِهِ اَلشَّفَاعَةُ اَلَّتِي يَظُنُّهَا اَلْمُشْرِكُونَ يعني أنها مطلقة بدون قيد بدون كذا هِيَ مُنْتَفِيَةٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ؛ كَمَا نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ، وَأَخْبَرَ اَلنَّبِيُّ)؛ إذًا لاحظ! ما هي الشفاعة المنتفية؟ ولا شفاعة، ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾؛ الشفاعة الشِّركيَّة.

الثابتة بـ ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾؛ هي الشفاعة الشرعيَّة.

قال: (**وَأَخْبَرَ اَلنَّبِيُّ ﷺ: أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ - لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوَّلاً - ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: «اِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»**)؛ إذًا... متى جاء الإذن له؟ بعدما سَجَد، مو على كيفه.

إذًا لاحظ الآن! أنَّ شفاعة الشافعِين ليست على أمزجتهم، ولا على آرائهم؛ وإنَّما تكون بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**وَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ؟**)؛ يعني: أبو هريرة يقول للنبي ﷺ.

(**قَالَ: «مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللَّهُ» خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**)؛ فعلَّق السعادة بالشفاعة بالتوحيد. صح؟ علَّقَ السعادة بالشفاعة بالتوحيد الخالص، وهو خُلوص القلب للتوحيد؛ هذا هو عين التوحيد.

(فَتِلْكَ اَلشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اَللهِ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللهِ)؛ لأنَّ شفاعة المشركِين منتفية؛ قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾؛ وهُم يُنادُون بهذا يوم القيامة، أيش يقولون؟ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

إذًا هُم أصبحوا الآن مستيقِنِين بالنُّقطة الأُولَى اللي ذَكَرْناها أولًا، وهي: اعتقاد أنَّ الشفاعة الشِّركية منتفية؛ فهُم يقولون: ما لنا من شافعين.

إذًا... هنا يأتي سؤال -سؤال مهم-: ما الحِكمة من الشفاعة، وإذن الله للشافع ما دام أنَّ الشفاعة لا تكون إلَّا بعد الإذن ورضا الله عن المشفوع وعن الموضوع؟ شو الفائدة؟ شو الحِكمة؟

قال الإمام -هذا كلام شيخ الإسلام لا زال-: (وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اَللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ اَلَّذِي يَتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ اَلْإِخْلَاصِ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دُعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ)؛ إذًا الدعاء هو باب الشفاعة، سبيل الشفاعة.

(لِيُكْرِمَهُ، وَيَنَالَ اَلْمَقَامَ اَلْمَحْمُودَ)؛ إذًا... لو قال لك قائل: ما الفائدة من الشفاعة؟

تقول: الفائدة من الشفاعة: إظهار مكانة الشافع يوم القيامة؛ يعني: لو أنَّ الله أقام الحساب مُباشرةً؛ هل كان الناس يَحمَدون مقام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ لا، ما كان يَحمَد مقام النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلَّا المسلمون.

لكن إذا كان يوم القيامة، ولم يُقِم الله الحساب، فيفزَع الناس إلى مَن يشفع لهم فيتأخَّرُون حتى يتقدَّم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فيأذَن الله بإقامة الحساب؛ فيظهر مقامه المحمود، وهذا واضح ولَّا لا؟ فنسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرزُقنا وإيَّاكم الورُود على حوضه، والحَشْر تحت لوائه، وأن يرزقنا شفاعته!

المقام المحمود ظهر بأيش؟ بالشفاعة.

طيب... نفس الكلام؛ كيف يُظهِر الله منزلة الشهيد يوم القيامة؟ بالشفاعة.

كيف يظهر منزلة قراءتكَ يوم القيامة للقرآن؟ بالشفاعة، تظهَر منزلة قراءتك للقرآن.

تظهر منزلة صومك يوم القيامة بالشفاعة.

إذًا... حقيقة الشفاعة هو تفضُّل من الله عَزَّوَجَلَّ؛ لكنَّه من باب بيان إكرام الله للشافع؛ يعني: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيغفر له سيغفر له؛ فما فائدة الشفاعة؟ بيان مكانة الشافع.

وشو الدليل أنَّه سيغفر له حتى ولو لم يشفع عنده أحد؟

الدليل: ما جاء في الصحيح؛ قال: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: «**اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ شَعِيرٍ مِنْ إِيمَانٍ» فَيَذْهَبُونَ وَيُخْرِجُونَهُمْ**»؛ يعني: شُفعاء، «**ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ** -أَيْ: لِلشُّفَعَاءِ-: «**اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ بِرٍّ مِنْ إِيمَانٍ» فَيَذْهَبُونَ فَيُخْرِجُونَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ: اذْهَبُوا فَأَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**».

طبعًا شيء أدنَى من ذَرَّة الناس ما يستطيعُون رؤيته. صح؟ يعني العين بالكاد ترى الذرَّة، لا سيَّما إذا بعدت؛ فكيف وهُم في الجنة وهؤلاء في النار؟!

ولهذا جاء فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: «**شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، شَفَّعَتْ النَّبِيُّونَ، شَفَعَ الصَّالِحُونَ؛ لَمْ يَبْقَ إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ نَارٍ فَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ وَلَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ**»؛ هؤلاء من أهل الإيمان قطعًا؛ لكن إيمانهم إلى درجة لا يعلمه إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من القِلَّة والدِّقَّة.

الشاهد: أخرجهم بدون شفاعة ولَّا لا؟ أخرجهم بدون شفاعة.

بس من باب الفائدة: لفظ هذا الحديث جاء في بعض الروايات، قال: «**شَفَعَ فُلَانٌ، وَشَفَعَ فُلَانٌ، وَشَفَعَ كَذَا؛ لَمْ يَبْقَ إِلَّا شَفَاعَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ**»؛ هذه اللفظة غير ثابتة لأنَّ الله ما يحتاج أن يشفع؛ إنَّما يأمُر ويطلب.

قال: (**فَالشَّفَاعَةُ اَلَّتِي نَفَاهَا اَلْقُرْآنُ مَا كَانَ فِيهَا شِرْكٌ**)؛ يعني: كل موضِع شفاعة منفية فالمقصود: الشفاعة الشِّركيَّة.

كل موضع فيها إثبات الشفاعة بالإذن: فهي الشفاعة الشرعيَّة.

المتن

فِيهِ مَسَائِلُ

- **اَلْأُولَى**: تَفْسِيرُ اَلْآيَاتِ.

الشرح

(**تَفْسِيرُ اَلْآيَاتِ**)؛ لأنَّ ما في بينها تناقُض:

فالآيات التي فيها نَفْي الشفاعة: هي في المُشركين.

والآيات التي فيها إثبات الشفاعة: هي للموحِّدين.

المتن

- **اَلثَّانِيَةُ**: صِفَةُ اَلشَّفَاعَةِ اَلْمَنْفِيَّةِ.

الشرح

وهي التي أيش قلنا؟ تُساوِي أيش؟ الشفاعة الشركيَّة التي يعتقدها المشركُون بأنَّها بدون إذن، وفيمَن يشاؤه الشافع.

المتن

- **اَلثَّالِثَةُ**: صِفَةُ اَلشَّفَاعَةِ اَلْمُثْبَتَةِ.
- **اَلرَّابِعَةُ**: ذِكْرُ اَلشَّفَاعَةِ اَلْكُبْرَى، وَهِيَ اَلْمَقَامُ اَلْمَحْمُودُ.
- **اَلْخَامِسَةُ**: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ؛ بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ.

الشرح

يعني: حتى النبي الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الموعود بالشفاعة والمقام المحمود لا يبدأ بالشفاعة مباشرةً؛ وإنَّما يسجُد لربِّه حتى إذا قِيل وجاءه الإذن: (**اِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**)؛ يقوم فيَشفَع.

المتن

- **اَلْخَامِسَةُ**: صِفَةُ مَا يَفْعَلُهُ ﷺ أَنَّهُ لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ، بَلْ يَسْجُدُ، فَإِذَا أُذِنَ لَهُ شَفَعَ.
- **اَلسَّادِسَةُ**: مَنْ أَسْعَدُ اَلنَّاسِ بِهَا؟

الشرح

أسعد الناس بالشفاعة مَن هُم؟

إذا سألك إنسان: مَن أسعد الناس بالشفاعة؟

تقول: هُم أهل التوحيد وأهل الإخلاص؛ لكن سعادتهم مختلفة:

فمنهم مَن سعادته بالشفاعة عظيمة، أعظم من السماوات والأرض لعِظَم التوحيد في قلبه، كالصِّدِّيق؛ فأفرَح الناس بالمقام المحمود مَن؟ أبو بكر، ثم عُمر، ثم عثمان، ثم علي؛ ليش هؤلاء أسعَد الناس بالمقام المحمود؟ لأنَّهم يرَوْن عِزَّة ومَكَنَة حبيبهم وخليلهم محمد ﷺ.

أَلَا ترَوْنَ اليوم قيسوا على أنفُسكم، لمَّا يجيك خبر أنَّ أخوك واللي تعزَّه أنت صار له مكانة؛ شو تكون فرحان! فأسعد الناس بالشفاعة هُم أهل الإيمان، وسعادتهم مختلفة:

- منهم مَن سعادته عظيمة.
- ومنهم مَن سعادته دون ذلك بقَدْر ما في قلبهم من التوحيد.

المتن

اَلسَّابِعَةُ: أَنَّهَا لَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاَللهِ.

الشرح

لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال عن المُشركِين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١].

المتن

- **اَلثَّامِنَةُ**: بَيَانُ حَقِيقَتِهَا.

الشرح

(حَقِيقَتَهَا)؛ يعني:

- الحِكمة من تشريعها.
- الحِكمة من إيقاعها.
- وكيف تكون؟

كما بيَّنها أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المتن

بَابُ قَوْلِ اَللهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال لهك يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: لأستغفرن لك ما لم

أنه عنك. فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]

وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٥٦]

الشرح

هذا الباب أورَدَه الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان أنَّ أعظم الخَلْق محمد ﷺ لا يملِك هِداية مَن يحبُّ، فإذا كان هذا واقعًا في الدنيا، ومُجمَعٌ عليه عند أهل الإسلام، ودلَّ عليه القرآن؛ فلأن لا ينفع يوم القيامة ويشفَع لمَن يشاء من باب أَوْلَى.

يعني: هل مشيئة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّم- في هداية الناس مُطلَقة ولَّا مقيَّدة؟

طالب: ..... (٨:٥٠).

مقيَّدة، لا يستطيع أن يهدِي مَن يشاء؛ فمشيئته في هِداية الخَلْق مقيَّدة؛ فشفاعته في إخراج الناس من العذاب أو في الشفاعة مقيَّدة، الباب واحد. هذا سبب إيراد هذا الباب بعد (**بَابِ الشَّفَاعَةِ**).

وأيضًا أنَّ هذا الباب تفسيرٌ للباب السابق، أنَّ هذا الباب تفسيرٌ للباب الذي قبله، وهو: أنَّ سيد الخَلْق محمد ﷺ لم يستطِع أن ينفع عمَّه عبد المطَّلب؛

لماذا؟ لأنَّه لم يأتِ بكلمة الإخلاص؛ فدلَّ أنَّ الشفاعات لا تكون إلَّا لأهل الإخلاص من البريَّة.

وبوَّبَ المصنِّف بالآية ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِی مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِی مَن يَشَآءُۚ﴾؛ هذه الآية من «سورة القصص» ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِی مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِی مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ هذه الآية من سورة القصص مكية باتِّفاق المُفسِّرين، ونزلَتْ في شأن أبي طالب باتِّفاق المُفسِّرين؛ فأورَدَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا يُفسِّر سبب نزول هذه الآية.

قال: (**فِي اَلصَّحِيحِ**)؛ يعني: [**صحيح البُخاري**].

(**عَنْ اِبْنِ اَلْمُسَيَّبِ**)؛ أبو المُسيِّب. يجوز هذا وهذا، وما يُنقَل عنه «سيَّبَ الله مَن سيَّبَ أبي» لا يصح.

«سعيد بن المُسيَّب»: أبوه «المُسيَّب» صحابي، أسلَم عام الفتح، المسيَّب من سادات قريش أسلَم عام الفتح، وشَهِدَ وفاة أبي طالب، ونقَلَ لنا هذه الواقعة.

(**قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ اَلْوَفَاةُ**). (**اَلْوَفَاةُ**)؛ يعني: الأجل هنا، كلمة «الوفاة» تُطلَق ويُراد بها الأجل، وتُطلَق ويُراد به انتهاء الأجل.

(**جَاءَهُ رَسُولُ اَللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اَللهِ بْنُ أَبِي أُمَّيَّةَ وَأَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمِّ، قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ» كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اَللهِ»**)؛ أبو جهل طبعًا معروف،

وهو: عمرو بن هشام، الذي كان يُلقِّبه قريشٌ قبل الإسلام بـ «أبي الحَكَم»، فلمَّا عانَدَ الإسلام مع عِلمه بصِدق النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصِدْق الرسالة لقَّبه المسلمون بـ «أبي جهل»؛ لأنَّ جهله مركَّب.

(**فَقَالَ لَهُ: يَا عَمِّ**)؛ من باب المُلاطَفة.

(**قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ»**)؛ طبعًا في بعض الروايات: أنَّه كان هناك مكان في قُرْب رأس أبي طالب فأراد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يجلس، فوَثَبَ أبو جهلٍ فجلَسَ هناك، فلم يجد النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مكانًا يجلس فيه إلَّا عند قدمَيْ أبي طالب.

ورجاه ودعاه وطلب منه وقال: (**يَا عَمِّ، قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ» كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اَللهِ**)؛ هذه العبارة (**كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اَللهِ**)؛ يعني: إذا مِتَّ وأنت عليها فيجوز لي أن أطلب الشفاعة لك حتى لو لم تعمل، حتى لو وقَعَ منك أنَّاتٌ وأنَّات، حتى لو كنتَ ضد الدعوة ومع المشركِين (**كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اَللهِ**).

ظنَّ بعض الجهَلَة من غُلاة المتصوِّفة أنَّ مجرَّد «لا إله إلَّا الله» هي النافعة، وهذا كذب؛ لأنَّ كلمة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اَللهِ**)؛

أي: كلمةً تقولها معتقدًا معناها، مو هو مجرد تلفُّظ؛ وإلَّا لو كان مجرد التلفُّظ للَزِمَ أنَّ المنافقِين كلُّهم يجوز أن يُحاجُّ لهم بها عند الله، ولا أحد يقول بهذا.

بل المستشرق اللي كتَبَ كلمات [مُعجَم ألفاظ القرآن] المستشرِق الألماني؛ كم مرة كتَبَ «لا إله إلَّا الله»؟ اللي موجودة في القرآن، واللي موجودة في الحديث؟ مئات المرات، وربَّما قالها وتلفَّظ بها؛ لكن لم يدخُل معناه في قلبه، مات على نصرانيَّته.

(**فَقَالَا لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ؟**)؛ يعني: أبوك هذا، أيشلون تخلِّي دِين أبوه إلى دِين ابن أخِيك؟

وهذا يدلُّنا على ماذا؟ على أنَّ الشِّرْك سبب تسويغه ما هو زخرفة العقول، لا لا لا؛ سبب تسويغ الشِّرك: المشاعر؛ ولذلك نرى الشِّرك ينتشر بسبب المشاعر «هذا وليُّنا... هذا أهل بلديَّتنا... هذا أهل قبيلتنا... هذا منَّا وفينا..... مشاعر.

(**أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ؟**)؛ خاطبُوه بالمشاعر.

(**فَأَعَادَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ** ﷺ)؛ لماذا قلنا: خاطبُوه بالمشاعر؟ لأنَّه كان يمكن أن يقول هو لو استخدَمَ عقله وتَرَكَ شعوره: لو كان عبد المطَّلب على باطل؛ فلماذا أتَّبعه؟ العقل يقول هذا.

العقل يقول لك: إذا كان أبوك لِصًّا؛ فلا تكن لِصًّا. العقل قبل النَّقْل يقول لك هذا الكلام.

(**فَأَعَادَ عَلَيْهِ اَلنَّبِيُّ ﷺ فَأَعَادَا، فَكَانَ آخَرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ**)؛ القائل (**هُوَ**)؛ هو المُسيَّب، وإنَّما أتَى بضمير «هُوَ»؛ ولم يأتِ بضمير «أنا»؛ وإلَّا فإنَّ أبا طالب قال: «أنا»؛ لماذا لم يقُل: «أنا» وإنَّما قال: «هو»؟ لأنَّ المسيَّب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أراد أن ينقُل كلمة «أنا» خشية أن يتوهَّم السامع لأول وهلة أنَّه يعني نفسه، فقال: آخر كلمة قالها: (**هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ»**).

دلَّنا هذا الحديث أنَّ الإنسان إذا مات على آخر شيء فإنَّه يُحاسَبُ عليه؛ فالعبرة بالخواتِيم.

فلو كان نصرانيٌّ لكنَّه في آخر عُمره قال: أنا على مِلَّة الإسلام. يُقبَل منه.

ولو أنَّ مسلمًا -عِيَاذًا بِاللهِ- في آخر حياته قال: أنا على اليهوديَّة. ومات على ذلك؛ فهو على اليهوديَّة.

فالأمر متعلِّق بخبره عن مكنون قلبه، فلمَّا قال: (**هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ**)؛ أخبرَ عن مكنون قلبه.

طبعًا أبو طالب تعلمون أنَّه قدَّمَ أشياء كثيرة للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من حيث الخصوص، ولعموم المسلمِين من حيث العموم.

(**فَقَالَ اَلنَّبِيُّ** ﷺ)؛ بعد ما مات، طبعًا جاء في بعض الروايات أنَّه قال لعليٍّ: «**اِذْهَبْ**»؛ يعني: مع إخوانك؛ لأنَّ يومئذٍ لم يكن أسلَمَ من آل أبي طالب إلَّا علي، وحمزة كان مسلمًا؛ فما خاطبه النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ وإنَّما عليًّا لأنَّه أَوْلَى بدَفْن أبيه، فقال: «**اِذْهَبْ وَوَارِي جُثْمَانَ هَذَا الْكَافِرَ**».

(**فَقَالَ اَلنَّبِيُّ** ﷺ: «**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»)؛ طبعًا بإجماع المفسِّرين والمؤرِّخِين والمُحدِّثِين والفقهاء أنَّ أبا طالب مات على الشِّرك، وأَبَى ذلك عامة الشِّيعة، حتى إنَّهم عَمِلوا له ضريحًا. نسأل الله السلامة والعافية!

(**فَأَنْزَلَ اَللهُ** عَزَّوَجَلَّ)؛ لمَّا قال النبي ﷺ: (**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**)؛ هنا قضية لا بد أن تنتبه لها! كونك تدعُو للكُفَّار بالإسلام وهُم أحياء، وبالاستغفار وهُم أحياء: لا إشكال فيه، يجوز أنَّك تقول: يا ربِّ، اهدِ الغرب للإسلام. ما في بأس.

وإذا رأيتَ رجُلًا ظلمًا من الكُفَّار فقُلتَ: اللهمَّ اغفِر لي وله، ولا تُؤاخذني وإيَّاه بهذا الفِعل. جائز؛ ليش يجوز؟ لأنَّه حيٌّ، فإن غَفَرَ الله له معناه: سيُسلِم،

وإن غفَرَ الله له معناه لا يؤاخِذه على هذا الفِعل الذي أنت دعوْتَ فيه. واضح هذا ولَّا مو واضح؟ مو واضح، سرحان!

كون الإنسان يدعُو للكافر وهو حيٌّ بالهداية، أو بالولد، أو بالاستغفار، أو بالإكثار من ماله: هذا ما فيه بأس.

لكن إذا مات على الكُفر: لم يكن لك أن تدعُو له، لم يكن لك أن تدعو لكافرٍ مات على الكُفر.

فلمَّا كان جائزًا للمسلم أن يدعُو وأن يستغفر للمُشرك الحي؛ فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سحَبَ الأمر إلى الكافر الذي مات على الكُفر، واستأنَسَ بقول مَن؟ بقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١]؛ في أي سورة؟

طالب: سورة إبراهيم.

«سورة إبراهيم»، نعم، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾؛ قال: ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾؛ صح؟ فاستأنَسَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بطلب إبراهيم المغفرة لوالدَيْه - لاحظ-؛ فقال: (**لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**)؛ حتى يجيني النَّهْي؛ ففَهِمَ اضطراد الأمر من العموم، وفَهِمَ اضطراد الأمر من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾؛ طبعًا «سورة التوبة» بإجماع المفسِّرين مدنيَّة، بل هي من أواخر السُّوَر نزولًا؛ لكن هذه الآية قديم النزول. انتبه! ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾؛ فلمَّا سَمِعَ الصحابة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يستغفِر لعمِّه أبو طالب، كل واحد عنده أب ولَّا عمَّه ولَّا خاله. صح ولَّا لا؟ مات على الكُفْر؛ صاروا هُم بعدين يستغفرون لذويهم الذين ماتوا على الشِّرْك؛ فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

وفي الآية دِلالة واضحة جليَّة لمَن كان له قلب؛ أنَّه إذا وقَعَ من المؤمنين فِعلٌ عن عدم عِلمٍ فإنَّهم لا يُؤاخَذُون؛ هؤلاء استغفروا للمُشركِين.

اليوم لو واحد جاء بالغلط يمكن يقول: الله يغفر لفلان. قال: كفرتَ.

ليش كفرتُ؟ قال: ليش دعوْتَ حقّ الكافر.

طيب يا أخي، اصبر، افرض إنّه أخطأ، افرض ما عنده عِلم؛ يصير ولَّا ما يصير؟ يصير إنَّه ما عنده علم أنَّه ما يجوز، مثل هؤلاء الصحابة استغفروا للمشركِين؛ هل كان عندهم عِلم بأنَّه لا يجوز؟

انتبه! فمسألة الاستغفار للمُشركِين هذه مسألة مو من المسائل اللي أنت على طول تكفِّر فيها، لا؛ لا بد أن يكون علم، مو مسألة سهلة.

اليوم أنا سمعتُ بنفسي ورأيتُ بعض الناس يُكفِّرون فلان من الناس؛ ليش؟ ليش قال: الله يغفر لفلان.

طيب... أخطأ، جاهل؛ قُل: ما يجوز هذا الفِعل. أمَّا أن تُكفِّره ما يجوز. هذه مسألة ثانية؛ فلا نخلط بين الأمور.

هؤلاء الصحابة استغفروا للمُشركِين ولَّا ما استغفروا؟ جاوبوا!

طالب: ..... (٠١:٠٦:١٥).

استغفروا بدليل القرآن ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾؛ طبعًا أتَى بصيغة المُضارعة ولم يأتِ بصِيغة الماضي؛ لأنَّ الماضي معفوٌّ عنه قد وقَعَ منهم بلا نهيٍ من الشارع؛ لكن الأمر «ما كان أن يستغفروا» في المضارع.

ومن باب الفائدة الدلاليَّة: كلمة «ما كان» و «لا ينبغِي» من أبلغ صِيَغ النَّهي في القرآن، شنو أبلَغ صِيغة للنَّهْي في القرآن؟ «ما كان» و «لا ينبغي»؛ ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم: ٩٢]؛ «ما كان» و «ما ينبغي».

قال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١١٣﴾؛ إذًا... متى لا يجوز الاستغفار للمُشرك؟

طالب: ..... (٠١:٠٧:٢٠).

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ﴾؛ كيف يتبيَّن؟ أبا حمزة!

بموته على الشرك، موتُه، لا؛ موتِه على الشِّرك؛ يعني: أنت رأيتَ أنَّه في آخر لحظات حياته مات على الشِّرك.

ومن هنا يأتي سؤال: هل يجوز أن يُعيَّن الكافر بأنَّه مُخلَّد في النار أو لا يجوز؟

إن تيقَّنْتَ موته على الكُفر حِين الوفاة: يجوز أن تُعيِّنه بالخلود في النار.

لكن إن لم تتيقَّن: فترجِع إلى الأمر العام، فتقول: الكُفَّار في النار. واضح؟

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ﴾؛ شنو يعني ﴿تَبَيَّنَ﴾؟ تيقَّن.

كيف يتيقَّن ويظهَر؟ كيف يظهَر؟ بموته على الكُفر بأن يقول: أنا أموت على النصرانيَّة... أنا أموت على اليهوديَّة.

طيب... إذا هو لا يُعرَف مات على ماذا؟ فنرجع إلى الأمر فنقول:

المسلمون في الجنة، والكُفَّار في النار. بس. ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣﴾

بَقِيَ الآن الجواب عن شُبهة استغفار إبراهيم لأبيه. صح ولَّا لا؟ يعني: النبي ﷺ والصحابة ليش استغفروا لذويهم؟

قلنا: اضطرادًا للأمر العام وهو: جواز الاستغفار للمُشرك في حال الحياة، فطردُوه إلى الممات.

وثانيًا: اقتداءً بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا قال في «سورة إبراهيم»: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

الأمر المضطرد قطَعَه الله بقوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾؛ يعني: بالموت خلاص ما يصير تستغفر.

بَقِيَ الآن الجواب عن الشُّبهة (شُبهة التعلُّق باستغفار إبراهيم)؛ قال تعالى -تكملة الآية اللي بعدها-: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾؛ يعني: هو وَعَدَ أبوه قال: أنا راح أستغفِر لك، حتى لو أنت عاندْتَ وكفَرْتَ أنا راح أستغفر لك. فهاجَرَ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى بيت المقدِس وصار في فلسطين وصار يدعُو لأبيه، إلى متى؟ إلى أن عَلِمَ أنَّه مات، فلمَّا عَلِمَ أنَّه مات تبرَّأ منه، ما قام يستغفر.

إذًا... دعاء إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾؛ كان في حياة أبيه؛ هذا يجوز ولَّا ما يجوز؟ يجوز. صح ولَّا لا؟

قال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ [التوبة: ١١٤]؛ مثل كلمة أيش؟ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ﴾؛ هناك ﴿تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾؛ هنا ﴿تَبَيَّنَ لَهُمۡ﴾ بأي شيء تبيَّن وتيقَّن؟ بالموت على الكُفْر.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾؛ وين براءته؟

براءته ظهرَتْ في «سورة الممتحنة» ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦﴾ [الزخرف: ٢٦]؛ هذه صورة من صور البراءة.

وأمَّا براءته خاصة من أبيه إبراهيم فمفهومة من الآية من «آية التوبة» ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾.

طالب: ..... (٠١:١١:٣٨).

في «سورة التوبة».

قال: **وَأَنْزَلَ اللهُ فِي أَبِي طَالِبٍ:** ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾؛ الله أكبر! هذه الآية قاصمة الظَّهر للمشركين وأصحاب

القبور؛ إذا كان سيد الخلائق محمدٌ ﷺ لا يملِك المشيئة العامة في الهِداية، ولا يملِكُ المشيئة العامة في الشفاعة؛ فكيف بمَن دونه؟! هذه قضية مسلَّمة ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾

وهنا يأتي سؤال: أوليس قد قال الله عن نبيِّه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]؛ قال: ولَّا لا؟ وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]؛ فكيف إذًا نجمع بين المنفِي وبين المُثبَت؟

طالب: ..... (٠١:١٢:٥٨).

أيوة، لا بد عند الجَمْع ﴿لَا تَهۡدِي﴾؛ هذه.....

طالب: ..... (٠١:١٣:٠٧).

مُطلَقة ﴿لَا تَهۡدِي﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾؛ مُطلَقة.

فلمَّا كانت هذه مُطلَقة، وهذه مُطلَقة؛ فالقاعدة أنَّ المُطلَق مع المُطلَق راح يتعارضُوا؛ فلا بد من الجَمْع بينهما؛ ولهذا قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وحشَرَنا معهم قال: الهِداية المنفية المُطلَقة نوعٌ، والمُثبَتة مُطلَقًا نوعٌ، فلمَّا اختلَفَ النوع جاز الإطلاق، وجاز الإطلاق واضح؟

﴿لَا تَهۡدِي﴾؛ قالوا: هذه هي الهداية التي بمعنى: السيطرة على القلب.

بمعنى: الإلهام.

بمعنى: التوفيق.

بمعنى: تغيير مشاعر القلوب، مَن يملِكها إلَّا علَّام الغيوب؟!

هذا التوفيق يسمَّى «هِداية التوفيق والإلهام، هِداية القلوب».

النوع الثاني: هِداية العقول، هِداية النظر والدِّلالة، والتوضيح والدَّلالة، وهي البيان والإرشاد؛ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يُبيِّن، يُرشِد؛ فمعنى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى﴾؛ يعني: هِداية الدلالة والإرشاد، وهِدايته (هِداية الدِّلالة والإرشاد) مُطلَقة، تامَّة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ليس في هِدايته نقصٌ، ولا في هِدايته قَصْر؛ فهي هدايةٌ مُطلَقَة تامَّة.

والقرآن يهدِي بهذا المعنى أيضًا ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ ما معنى ﴿يَهْدِى﴾؟ هِداية الدِّلالة والإرشاد.

إذًا... نوعٌ آخر، ما هو هِداية التوفيق والإلهام.

إذًا... لا تعارُض بين الهِدايتَيْن.

النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيَّنَ لعمِّه أبي طالب هِداية الدِّلالة والإرشاد. ولَّا لا؟ مِرارًا وتِكرارًا، وأبو طالب كان يعلم صِدْق النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ شو

الدليل يا أبا حمزة؟ شِعرُه؛ أيش قال في شِعره؟ أعطِيك شِعرين يدلُّك أنَّه كان يعلم أنَّه نبيٌّ؛ ما الذي منَعَه من الإيمان؟ الإباء والكِبْر، واتِّباع الآباء.

❁ **الشِّعْر الأول**: قال:

أَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ

هو يقول، يقول: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ له مكانة إذا قُدِّمَ ليدعُو فيدعُو فيُغِيثُنا الله ويُسقِينا، لو كان مو مستيقن من أنَّه نبيٌّ يقول هذا الكلام هذا؟ مستحيل.

طيب... **والشِّعْر الثاني**؟ شِعر ديوان العرب؛ ما معنى دِيوان العرب؟ يعني: فيه عِلمه، وفيه علومهم؛ ففي أبياته الشِّعريَّة الأخرى يقول:

وَلَقَد عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ** مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

لَوْلَا الْمَلامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ ** لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

شوف، يقول: «عَلِمْتُ» مو بس عرفتُ؛ «عَلِمْتُ»، والعلم معناه: اليقين، معرفة الشيء بدليله، وهذا الشيء يا إخوة، كون الإنسان يعرف الحقَّ ولا يتَّبعه والله الذي لا إله إلَّا هو كان عليه أبو جهل؛ يعلم علم اليقين أنَّ محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ نبيٌّ؛ عانَدَ.

وهنا يأتي سؤال: ما الحِكمة؟ لأنَّ هذا السؤال لماذا أورِدُه؟ لأنَّ بعض المتطفِّلين على العلم يريدون إشكالات لا تنبغي، يقول بعضهم: ما الحِكمة من هِداية أبي سُفيان، وعدم هِداية أبي طالب؟

نقول: الحِكَم كثيرة؛ لكن من أعظمها: أنَّ عِناد أبي سُفيان للنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان عن جَهْل، فلمَّا تبيَّنَ له أنَّه رسول الله اتَّبعه؛ وأبو طالب إنَّما كان يحمِي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والصحابة حمِيَّةً جاهليَّةً؛ كيف ابن أخيب يُؤذَى وأنا حيٌّ؟ ما هو لله، فلمَّا كان فِعله الدَّال على نُصرة الإسلام ونبيّ الإسلام ليس لله؛ لم يجد ثوابه. واضح هذا ولَّا لا؟

المتن

فِيهِ مَسَائِلُ

الأولى: تفسير قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾

الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح

تفسير الآيتين وَضُحَ لنا بالنظر إلى سبب النزول.

المتن

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة: تفسير قوله: "قل لا إله إلا الله" بخلاف ما عليه من يدعي العلم

الشرح

أيش يعني: (**قَوْلِهِ: «قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ»؛ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي اَلْعِلْمَ**)؛ أيش معناه؟ هذه مسألة مهمة ترى! مسائل الإيمان دقيقة وعميقة.

يقول: (**اَلثَّالِثَةُ -وَهِيَ اَلْمَسْأَلَةُ، اَلْكَبِيرَةُ-: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ ﷺ: «قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ»؛ بِخِلَافِ مَا عَلَيْهِ مَنْ يَدَّعِي اَلْعِلْمَ**)؛ لأنَّ مَن يدَّعِي العلم اليوم -مع الأسف الشديد- تجد مَن يدَّعِي العلم وسائر أهل البِدَع، ضُلَّال أهل البِدَع تجد أنَّهم يقولون: أنَّ كما سمعتُ من بعضهم بواسطة الصوتيَّات، يقول: ذهبتُ إلى بلاد الكُفَّار ووجدتُ الإسلام ولم أجد المسلمِين. وين وجدتَ الإسلام؟!

العُرْي والتفسُّق إسلام؟!

شُرْب الخمور هذا إسلام؟!

الذين يقولون: الأب والابن والرُّوح القُدُس. هذا إسلام؟!

هذا يدَّعِي العلم ظنَّ أنَّ الإسلام صِدق الأمانة بس، هذا يدَّعِي العلم، ما عَلِمَ أنَّ أعظم الإسلام وأُسُّه وأساسه «لا إله إلَّا الله»؛ هذا مراد الإمام: أنَّ هناك مَن يدَّعِي العلم، يغيب عن ذِهنِه أنَّ أصل الإسلام وأُسُّه قول: «لا إله إلَّا الله». ويُبدَأ به في الدعوة، كم من الدُّعاة اليوم يغِيب عن ذِهنهم هذا المعنى.

المتن

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: "قل لا إله إلا الله" فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام

الشرح

يعني: النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمَّا قال لعمِّه: (**قُلْ**: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ**»)؛ هل مقصود مجرَّد التلفُّظ ولَّا مع اعتقاد المعنى؟ مع اعتقاد المعنى.

وأبو جهل خَشِيَ أنَّه إذا قال هذا الكلام مع اعتقاد المعنى أنَّ هذا الخبر ينتشِر، وأنَّ الناس يتركُون دِين آبائهم وأجدادهم؛ فأبو جهل عَلِمَ أنَّ قوله دليلٌ على أنَّه قد وَقَرَ في قلبه، ما قال له: قُل: «لا إله إلَّا الله»؛ شنو يعني؟ لا تزعِّل ابن أخوك عند الموت، هي مجرد قولة راح تقولها. لأنَّ أبا جهلٍ عَلِمَ أنَّ مَن قال: (**قُلْ**: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ**»)؛ فإنَّهم عربٌ أصحاح يفهمون أنَّ معنى «لا إله إلَّا الله»: الالتزام بمُقتضياتها، وإيجاد شروطها. أبو جهل يفهم هذا الكلام.

(فَقَبَّحَ اَللهُ مَنْ أَبُو جَهْلٍ أَعْلَمُ مِنْهُ بِأَصْلِ اَلْإِسْلَامِ)؛ يظنُّ أنَّ «لا إله إلَّا الله» المقصود من قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (قُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ»)؛ يعني: بس قُلْ مجرد قول. يا الله! أبو جهل صار أفهَم منك، مسكين والله!

المتن

اَلْخَامِسَةُ: جِدُّهُ ﷺ وَمُبَالَغَتُهُ فِي إِسْلَامِ عَمِّهِ.

الشرح

طبعًا لا يظُنَّن ظانٌّ أنَّ هذه هي الدعوة الوحيدة أو المرة الوحيدة التي دعا فيها عمَّه؛ دعا عمَّه مِرارًا وتكرارًا حتى قال بعضهم: لم يدعُ أحدًا مثل ما دعا عمَّه.

المتن

اَلسَّادِسَةُ: اَلرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ إِسْلَامَ عَبْدِ اَلْمُطَّلِبِ وَأَسْلَافِهِ.

الشرح

مَن الذي زَعَمَ إسلام عبد المطلِّب وأسلافه؟ قلنا: بعض طوائف الشِّيعة.

المتن

اَلسَّابِعَةُ: كَوْنُهُ ﷺ اِسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، بَلْ نُهِيَ عَنْ ذَلِكَ.

الشرح

معناته: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ استغفرَ له الآن، وقَعَ منه نوع شفاعة. ولَّا لا؟ وقَعَ ولَّا ما وقَعَ؟ وَقَع.

هل وُجدَتْ نتيجة الشفاعة؟ إذًا... ليس معناه كلُّ شفاعةٍ تكون.

إذًا... الشفاعة عند الله لا بد من الإذن والرضا. هذا شيء.

الأمر الثاني المستفِيد من قوله هنا: **(اِسْتَغْفَرَ لَهُ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ)**؛ أنَّ الإنسان إذا وقَعَ منه استغفارٌ لمُشرِكٍ أو كافرٍ وهو لم يعلم بالنَّهْي؛ هذا لا يُؤاخَذ؛ فكيف يُكفَّر؟ واضح هذه ولَّا لا؟ مشكلة اليوم.

والله إنَّنا اليوم في زمن الجهل فيه، السيطرة فيه للجهلة، صار الناس اليوم يشوفون فلان استغفر للمُشرك أو للكافر؛ قال: كافر.

طيب يا أخي، افرض أنَّ هذا الرجُل الذي قال هذا الكلام جاهل؛ كيف تُكفِّر الرجُل؟ ما عَلِمَ بالحُكم الشرعي.

المتن

اَلثَّامِنَةُ: مَضَرَّةُ أَصْحَابِ اَلسُّوءِ عَلَى اَلْإِنْسَانِ.

الشرح

أيوة والله، أصحاب السوء على الإنسان كيف يضرُّون؟ يعني: هاذول الاثنين لو مو موجودِين! أصحاب السوء مصيبة.

المتن

اَلتَّاسِعَةُ: مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ اَلْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ.

الشرح

الله المُستعان!

طبعًا (**مَضَرَّةُ تَعْظِيمِ اَلْأَسْلَافِ وَالْأَكَابِرِ**)؛ الإمام محمد بن عبد الوهاب في تفسيره يسمِّيها «الشُّبهة الملعونة» اتِّباع الآباء والأجداد ﴿وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣]

المتن

اَلْعَاشِرَةُ: اَلشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ؛ لِاسْتِدْلَالِ أَبِي جَهْلٍ بِذَلِكَ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: اَلشَّاهِدُ لِكَوْنِ اَلْأَعْمَالِ بِالْخَوَاتِيمِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَهَا لَنَفَعَتْهُ.

الشرح

طبعًا هنا ما معنى (**اَلشُّبْهَةُ لِلْمُبْطِلِينَ فِي ذَلِكَ**)؟

يعني: كل مَن يستدلّ بالآباء والأجداد فدِلالته باطلة؛ ليش؟ لأنَّه سُبِقَ بهذا الاستدلال من أبي جهل.

العِبرة بالخواتِيم؛ فقد جاء فيه الحديث: أنَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، وصحَّ عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه قال: «**الْمَرْءُ يُحْشَرُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**».

المتن

اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: اَلتَّأَمُّلُ فِي كِبَرِ هَذِهِ اَلشُّبْهَةِ فِي قُلُوبِ اَلضَّالِّينَ؛ لِأَنَّ فِي اَلْقِصَّةِ أَنَّهُمْ لَمْ يُجَادِلُوهُ إِلَّا بِهَا، مَعَ مُبَالَغَتِهِ ﷺ وَتَكْرِيرِهِ؛ فَلِأَجْلِ عَظَمَتِهَا وَوُضُوحِهَا عِنْدَهُمْ اِقْتَصَرُوا عَلَيْهَا.

الشرح

لا شك أنَّ هذه الشُّبهة ممكَّنة في قلوب الضَّالِّين، حتى إنَّهم يكتفُون بها في الدلالة، يقولون: ها دول جابوا لنا دِين جديد، ما سَمِعنا بهذا. لا يقولونك ننظُر؛ هل قال الله... قال الرسول... صح أو خطأ. مجرد اتِّباع الآباء والأجداد. نسأل الله السلامة والعافية.

نكتفِي بهذا القَدْر.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبَّل منَّا ومنكم، وأن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمد.

أحد عنده سؤال؟ اتفضل!

❋ المناقشة:

سؤال: .....؟

الجواب: ورَدَ بإسناد ضعيف.

سؤال: .....؟

الجواب: لا لا، غير صحيح؛ مَن يقول: التكفِين هذا من حقوق المُشرِك؟!

طالب: .....؟

الجواب: لا، الغُسْل والصلاة من حقوق المسلم؛ أمَّا الكافر لو مات ذِّمِّي في بلاد المسلمين ولم يوجد أحد؛ فيجب على المسلمين أن يُكفِّنوه، وأن يدفنوه وجوبًا. واضح؟ لا يُشكِل عليك.

يعني: عندنا أربعة أمور:

- عندنا غَسْله.
- تكفينه.
- الصلاة عليه.
- دَفْنه.

أربعة للمسلم، اثنان منها لأهل الذِّمَّة وأهل الكُفْر إذا مات ولم يوجد أحد يدفنه.

ولذلك الآن لو كان هناك مسلم أسلَم وأبوه كافر ومات، قال: أنا أروح أحضر جنازته.

قلنا له: إذا كنتَ تذهب لأجل أن تُشارِك النصارَى في صلاتهم عليه ما يجوز؛ لكن تذهب لتُكفِّنه، تذهب لتدفنه يجوز؛ هذا أبوك، أو هذا أخوك. واضح؟ فنُفرِّق بين هذا وهذا.

اللي ما يجوز أيش؟

طالب: الغُسْل، والصلاة.

أحسنتَ، الغُسْل خاص بـ....

طالب: .....

والصلاة...

طالب: .....

أحسنتَ.

طالب: جزاك الله خير.

وإيَّاكَ.

سؤال: .....؟

الجواب: هو هذا من مقتضياتها طبعًا، من مقتضيات شهادة أنَّ لا إله إلَّا الله؛ شهادة أنَّ محمدًا رسول الله؛ ولا بد من النُّطْق بالكلمتين.

سؤال: .....؟

الجواب: لأنَّهم يفهمون اللزوم.

سؤال: .....؟

الجواب: إذًا معناته: ما فَهِمَ اللزوم؛ فصار أبو جهلٍ وأبو طالب أفهَم منه.

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنتَ، أستغفركَ وأتوب إليك.